غصن اخضر

رغم كل الملاحظات الانتقادية الواردة بشأن منظمة العفو الدولية (امنستي إنترنشنل)، فان هذه المنظمة تظل بفكرتها الجوهرية غصناً اخضر على شجرة العائلة البشرية المهددة باليباس.

من الاقوال المأثورة عن وزير الدعاية الهتلري غوبلز: "كلما سمعت كلمة ثقافة امتدت يدي الى المسدس". ويخطيء من يظن ان الروح الغوبلزية قد ولت مع عهد غوبلز، فما زال في هذا العالم وفي هذا اليوم وفي هذه اللحظة، كثيرون وكثيرون ممن تمتد ايديهم الى مسدساتهم كلما سمعوا كلمات الثقافة والحرية والدمقراطية والعدالة.

إن قطيعا لا يُستهان به من الدبلوماسيين والساسة واصحاب النفوذ، يُعنى افراده بتقليم اظافرهم وتهذيب مظهرهم الخارجي، بينما يربون مخالب ارواحهم ويتحينون الفرص للانقضاض على الفرائس المتاحة حتى من مواطنيهم هم الذين يجرؤون على القول "انا اعتقد" .. فمجرد الجرأة على الاعتقاد، تشكل سببا لاقتناص المواطن وادانته بالخيانة العظمى دون الحاجة الى تقديم لائحة الاتهام والاستماع الى الشهود والمرافعات.

هنا، يرفع المواطن المسحوق ذراع الاستغاثة، وما من مغيث .. ويسجل أسمه فيما بعد على قائمة اعداء الشعب والوطن، او في عداد

المفقودين، واذا واتاه شيء من الحظ فانه سيحظى بزاوية ما في قبر جماعي مجهول ..

وتنزف الروح ويجهش القلب، اذا حاول انسان ما استحضار حالات التعذيب ومقادير الاسى المقموعة في اعماق اولئك الناس المطفأين كأعقاب السجائر في منافض الانظمة المنافقة التي تخفي الات تعذيبها التكنولوجية المتطورة وراء ستائر وردية من المخمل الحالم.

يبدو لي احيانا إن هناك تناسبا طرديا بين قدرة الانسان على تطوير معارفه وقدرته على تطوير وحشيته بالمقدار نفسه وفي الاتجاه ذاته.

واذا كان الامل هو سلاحنا الاخير في خندقنا الاخير، فانه يجوز لنا ان نتصور الاهمية الكبرى التي يعلقها السجين او الاسير على ذراع ما قد تمتد الى زنزانته من فضاء العالم الخارجي، وقد لاحظت شخصيا ان عددا كبيرا من الاسرى والسجناء يعلقون املا ما على الرأي العام العالمي وعلى المنظمات الدولية ذات العلاقة بمسائل السجون وقضايا الحرية.

ومع احتفاظنا بحق التحفظ المشار اليه بشأن منظمة "امنستي"، فان تقاريرها السنوية تظل مصدرا هاما لدراسة احوال الانسان في سجونه الصغيرة والكبيرة، والى جانب الامور السلبية التي يعرضها تقرير المنظمة للعام ١٩٨٥، فان هناك امورا ايجابية تعزز امل الانسان بالا يسقط في ذاته نهائيا والى الابد. فاقدام ٢٨ دولة على الغاء حكم الاعدام هو بلا شك ظاهرة ايجابية .. بيد ان هذه الايجابية ليست هي الامر المقرر والسمة الغالبة، فما زالت انظمة كثيرة وفي مختلف القارات تمارس احراق السجناء وهم على قيد الحياة،

والتعذيب الجنسي والنفسي، واقتلاع الاظافر، والتعريض للتيارات الكهربائية والضرب على مختلف اعضاء الجسم والاغتيال السياسي والاختطاف والطرد من الوطن واعتقال رافضي الخدمة العسكرية.

يتجاهل التقرير اقدام اسرائيل على اعتقال رافضي الخدمة العسكرية بصورة منهجية، الا انه ينبه الى اعمال التعذيب التي يتعرض لها السجناء والاسرى العرب والفلسطينيون في المعتقلات الاسرائيلية.

ويشير التقرير الى فعالية المنظمة من جهة والى محاولة التملص التي تمارسها بعض الانظمة بهدف طمس الحقائق وخلط المعلومات وبلبلة الرأي العام العالمي.

إن العلائق الانسانية لا سيما في العالم الذي يسمي نفسه بالعالم الحر زورا وبهتانا، تتعرض الى اخطار التيارات العنصرية والفاشية ومخططات الرعب العالمي، متجسدة في مشاريع "حرب النجوم" الامريكية، الى جانب الدمار الروحي والمادي المترتب على عوامل الطبيعة كالفيضانات والتصحر والهزات الارضية والبراكين .. وفي دوامة العنف الهائلة هذه، يسعد المواطن العادي والبسيط القابع في زنزانة السجن او في الوطن الزنزانة حين يلوح له عبر قضبان مهانته وامتهانه، غصن اخضر ما ..

«الاتحاد» ١٩٨٦/١٠/٢٤